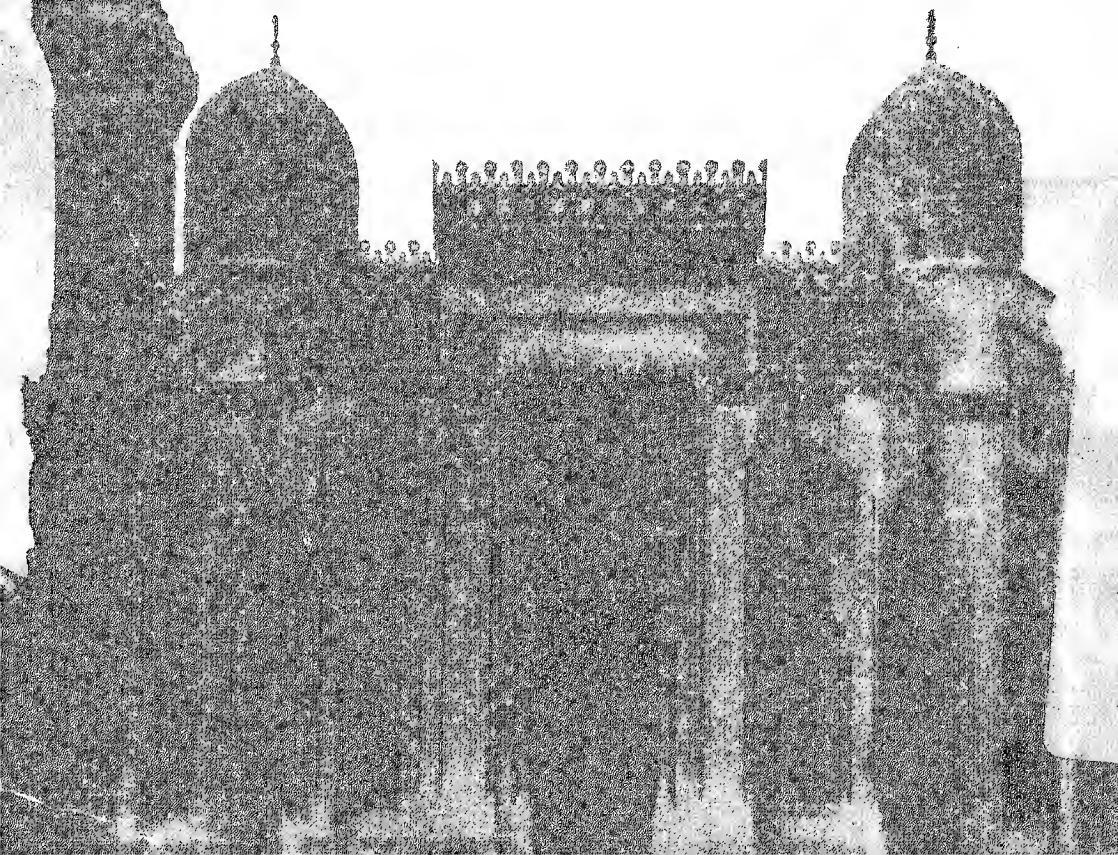


ذكرى
العارف بالله
المريء إلى العباس



وزارة الارشاد القومى
مصلحة الاستعلامات

ذكرى
العارف بالله
المريء الى العباس

حول الاحتفال بذكرى المرسى أبى العباس

بقلم : محمد حمدي عاشور

تاريخ الاسكندرية حافل بالأحداث ، عامر بأعلام الفكر والنضال ، الذين لهم شهرتهم الواسعة ، في مختلف العصور ، وقد زخرت المكتبة العربية بتراث ضخم تفخر به الاسكندرية في جميع المجالات ولا سيما في العصر الاسلامي ، حتى اذا قام زائر بجولة في ارجاء المدينة ، طالعته المساجد بماذننها العالية ، والأضرحة بقبابها المستديرة ، تشير الى ذكريات ومعالم مرت عليها مئات السنين .

ومن ذلك مسجد أبى العباسى المرسى القائم بهذا الحى القديم من أحياء الاسكندرية ، ومن حوله الجوامع والمآذن والقباب تحيط بميدان المساجد وتشرف على الميناء الشرقى .

كان لصاحب هذا المسجد في الاسكندرية منذ ٧٠٠ سنة ، آثار باقية على الزمان ، حفظتها لنا الكتب قديما وحديثا ، وصانتها من الضياع ، وكان من حقها علينا أن نتصفحها ونستفيد منها إبقاء على أمجاد الماضي . . ووفاء منا لأصحاب كل عمل مجيد .

وكان أهل الاسكندرية يتطلعون في لهفة وشوق الى الاحتفال بذكرى أبى العباس ، فسنحت لهم الفرصة في هذا اليوم الذى مضى عليه الآن سبعة قرون من وفاته ، وأخذت الطوائف والهيئات ينافس بعضها بعضا ، في أداء ما يجب عليها نحو عالم الاسكندرية الذى تخرج على يديه المئات من المواطنين في المعرفة والأخلاق .

وكان على المحافظة أن تقوم بتنسيق هذه الجهود ، وتوحيد الاتجاهات المختلفة ، على أساس من التعاون ، من أجل الهدف المشترك ، تاركة للطوائف والهيئات حرية التعبير عن مشاعرها بعيدا عن الاوامر والرسميات .

وكان من الضروري ان يعرف المواطنون في هذا الجيل : من هو أبو العباس المرسى ؟ وما مكانته في العالم العربي والاسلامى ؟ وما مدى تأثيره في معاصريه بالاسكندرية وغيرها ؟ وما قيمة هذا التراث بالنسبة لمقاييس الثقافات الحديثة ودعم القومية العربية التي يحمل رايثها ، قائد ثورتنا ، ورائد نهضتنا الرئيس جمال عبد الناصر وفقنا الله الى السير على هداه في طريق الحرية والسلام ، من أجل غد مشرق بالامال ، ومن أجل العزة والسيادة الكاملة للشعوب العربية والاسلامية من الخليج الى المحيط . والله ولى التوفيق .

الإمام أبى العباس المرسى

كان مولده رضى الله عنه في « مرسية » سنة ٦١٦ هـ (١٢١٩ م) ونشأ بها وهى احدى مدن الاندلس ونسمى بالاسبانية « مورسا » وهى كلمة اصلها يونانى مأخوذه من « مورتيا » ومعناها « الآس » وهى شجيره كانت منسوبه عند الاقدمين الى الزهرة . وهى المدينة اختطها عبد الرحمن الناصر الأموى من بلاد « بلنسية » واليهما نسب أبو العباس ف قيل له « المرسى » .

وقد اقترن والده عمر بن على بالسيدة فاطمة ابنة الشيخ عبد الرحمن المالقى وهو من الرجال الصالحين وفى ظل هذه البيئة الصالحة التى تسرى فيها روائح الدين الحنيف تهيأت لخلفهم مقومات التربية النظيفة ، والظروف المواتية لينشئوا نشأة دينية طاهرة - فلقى الولد الأكبر أبو عبد الله جمال الدين محمد وأخوه

أبو العباس العناية الكاملة فحرص ابوهما على تعليمهما أصول الدين وتحفيظهما كتاب الله الكريم .

فلما بلغ أبو العباس سن التعليم دفعه والده الى مؤدبه علي نهج ما كان يتبعه آباء هذا الزمان - فتعلم القراءة والكتابة والخط والحساب فأظهر تفوقا واستعدادا عظيمين ولقيت المبادئ الدينية الارض الطيبة فيه فاذدهرت معارف هذا الصبي منذ نشأته وتفتقت مواهبه وميله للتصوف وهو لا يزال صبيا حتى قال عن نفسه « كنت انا صبي عند المؤدب وجاء رجل فوجدني أكتب في لوح فقال : الصوفي لا يسود بياضا فقلت له : ليس الأمر كما زعمت ولكن لايسود بياض الصحائف بسواد الذنوب وقال مرة « عمل ابن جانب دارنا خيال الستار وانا اذ ذاك صبي فحضرتة فلما أصبحت اتيت الى المؤدب وكان من أولياء الله تعالى فأنشد حين رآني :

يا ناظرا صور الخيال تعجبا وهو الخيال بعينه لو ابصرنا

اشتغاله بالتجارة :

ولما اشتد أبو العباس وقوى ساعده ووضحت فيه علائم النبوغ والنجابة الحقه والده عمر بن علي في أعمال تجارته التي اقامها في مزسيه مع أخيه الأكبر ابي عبد الله جمال الدين محمد - وذلك لاستغلال كوامن النباهة فيه والانتفاع بمواهبه في تجارته . . فصار يرسله صحبة أخيه الى البلاد ليمارس الاعمال التجارية ويتدرب على شئونها ويحاول أمور الأخذ والعطاء وطرق التجارة في الاسواق وأساليب التعامل فيها .

وقد كان أبو العباس ماهرا في تجارته مخلصا لها فأمدته بكافة وسائل النجاح فيها وصقلته مدرسة الحياه ودرس فيها فنون المعاملات وأخلاق الناس المتباينة ووسائل التفاهم مع العقول المتفاوتة ومكنته قريحته النفاذه الى معرفة الاتجاهات الانسانية والوقوف على كوامن الجماعات وسبر اغوار القلوب وتبين هواجس

النفوس والشعور بالاحاسيس المختلفة التى يعيش فيها الناس
فما بزغت شمس الرابعة والعشرين على هذا الشاب حتى
تفتحت زهراته فكره - ووضحت معالمه ووصل عقد طور النبضوج
والكمال كل أولئك امتزجت بعناصر الاستقامة والامانة ومعرفة الله
والخوف منه فظهرت آثارها بركات فى أعمال أبيه فأثره بحبه وعطفه
على أخيه .

أسباب انتقاله من موطنه :

كانت سنة ٦٤٠ هـ (١٢٤٥ م) بمثابة نقطة التحول فى حياة
ابى العباس اذ وجد نفسه وهو لايزال فى هذه السن المبكرة فى
ظروف تحتم عليه الكفاح فى سبيل الحياء فقد اعتزم والده فى هذه
السنة الحج الى بيت الله الحرام وصحب معه ولديه أبا عبد الله
وأبا العباس وامهما فاطمة فركبوا البحر عن طريق الجزائر ، حتى
اذا كانوا على مقربة من شاطئ بون . هبت عليهم ريح عاصفة
اغرقت المركب بمن فيها .

غير ان عناية الله أدركت أبا العباس واخاه فانجاهما الله من
الغرق فقصدا تونس فأما الأخ الأكبر فاتجه نحو الاعمال التجارية
وصار يتنقل فى الاسواق مباشرة الأخذ والعطاء على قدر ما سمحت
له الاحوال .

وأما احمد فكان لاتجاهاته الدينية فى رسم وتحديد الطريق
الذى يسلكه - فأراد ان يستغل مواهبه بالاستزادة من مناهل العلم
فاتخذ له مكتبا فى زاوية الفقيه محرز بن خلف وصار يعلم الصبية
مبادئ القراءة والكتابة والخط والحساب وتحفيظ القرآن لأن
مناهج التعليم الاولى كانت لا تتعدى هذه العلوم فى ذلك العصر .

تعرفه بالشيخ الشاذلى :

كانت سنة ٦٤٠ هـ هى نقطة التحول فى حياة ابى العباس
عندما القته المقادير على سواحل تونس التى كانت موطن الشيخ

أبى الحسن الشاذلى وتشاء المصادفات أن يكون نزوله على مقربة من المكان الذى اتخذته الشيخ مقرا له بزاوية على سفح جبل نغولن - ويترامى صيته الى أبى العباس فيسمى اليه للجد فيه ضالته المنشودة والآن فلنترك امامنا الشيخ أبو العباس يتكلم فيقول:

« لما نزلت بتونس - وكنت أتيت من مرسية - وأنا اذ ذاك شاب سمعت بذكر الشيخ أبى الحسن الشاذلى فقال لى رجل تمضى بنا اليه ؟

فقلت : حتى استخير الله فتمت تلك الليلة فرأيت كائى اصعد الى رأس جبل ، فلما علوت فوقه ، رأيت هنالك رجلا عليه يرنس أخضر ، وهو جالس وعن يمينه رجل وعن يساره رجل فنظرت اليه فقلت : عثرت على خليفة الزمان . فانهيت فلما كان بعد صلاة الصبح جاءنى الرجل الذى دعانى الى زيارة الشيخ فسرت معه - فلما دخلت عليه رأيته بالصفة التى رأيته بها فوق الجبل ، فدهشيت فقال لى : عثرت على خليفة الزمان .

ما اسمك ؟ ؟ فذكرت له اسمى ونسبى فقال لى : رفعت الى منبى سنين - »

وصار يلزم الشيخ ابا الحسن ملازمته لظله وارتشف من فيضه واصطبغ بالصبغة التى ميزت أهل الطريق بعد أن تلقى أصولها وتفقّه في تعاليمها .

ولما رأى الشيخ أبو الحسن فيه هذه الاستعدادات وهذه النجابة أحبه وقربه اليه واختصه بأسراره - وأفضى اليه بما اجتباه الله به من امدادات ونفحات ومكاشفات وعوارف كما غمره بما أفاض الله عليه من خيرات وبركات حتى قال له قوله المشهور :

« يا أبا العباس : والله ما صحبتك الا لتكون أنت أنا وأنا أنت ، يا أبا العباس فيك ما فى الأولياء وليس فى الأولياء ما فيك »

وفي غمرة هذا الحب الخالص وهذه الثقة الغالية نرى فيما بعد ان امامنا أبا الحسن الشاذلى يوطد هذه العلاقة الكريمة ويبارك هذه

الصحبة المباركة ويربطها برباط مقدس هو رباط المصاهرة ...
 فيزوج ابا العباس ابنته التي يأتى منها بجمال الدين محمد ولى
 العباس أحمد وبهجه التي زوجها لسيدى يا قوت العرش .

وعندما رأى ابو الحسن ان استقراره بتونس اصبح مخيفاً
 بالكاره وان دعوته ستعرض حتماً للمنازعات والفتن عقد العزم
 على الرحيل .

وقد أثر السفر معه بعض اصحابه وعلى رأسهم الامام ابو
 العباس المرسى فوصلوا الاسكندرية في عام ٦٤٢ هـ (١٢٤٢ م)
 واتخذوا داراً بازاء قلعة « كوم دغايس » المعروفة الآن بكوم الذكة
 واتخذوا يدعون الله في كل مكان . وقد كان جامع العطارين بالاسكندرية
 الذى انشأه بدر الجمالى سنة ٤٧٩ هـ الكعبة التى يؤمها ائمة
 العلماء واکابر الفضلاء يعقد فيها ابو الحسن مجالس علمه وحلقات
 درسه لتلاميذه وكان الاقبال على دروسه عظيماً سواء من عامة
 الناس أو من خاصتهم .

وفى سنة ٦٤٦ هـ جاء الامام ابو الحسن وقدم الشيخ ابا
 العباس واعلن خلافته له . . واذن له فى القاء الدروس على طلابه
 وتلاميذه وان يفقههم فى دينهم ويعلمهم مبادئ الشريعة وتلقين
 مبادئ السلوك ويرشدهم الى الله تعالى . ثم اكثر بعد ذلك من
 الترحل بالبلاد والتنقل فى انحاء الاقاليم مبشراً بمبادئه - ناشراً
 علومه ومعارفه وكان يلزمه فى رحلاته الشيخ ابو العباس أو يلحق
 به فى اقامته ثم يعودان الى الاسكندرية ثانية .

تشير الدعوة فى القاهرة :

لما تمت خلافة ابي العباس استأذن شيخه فى القيام بأمر الدعوة
 بالقاهرة باعتبارها معقل العلوم والمعارف ومهبط أهل بيت رسول
 الله صلى الله عليه وسلم - واتخذ من المدرسة الكاملية بالقاهرة
 مكاناً لاقاء دروسه - وقد كانت القاهرة وقت ذاك غاصة بقطاع

الفقهاء واکابر العلماء وعظماء الائمة مثال الشيخ عز الدين بن عبد السلام شيخ الاسلام والشيخ تقى الدين بن زفيق القشيري القوصي وغيرهم من علماء الحديث المشهورين .

وقد وجد ابو العباس المرسى في القاهرة مجمعا لمحبيه ومقصدا لمريديه فآثرها بالاقامة واتخذ من جامع الحاكم بالمقسي « جامع أولاد عنان » بمحطة القاهرة — مدرسة لبث تعاليمه ومبادئه بين الطلاب والمريدين كما جعله نزلا ومشوى .

وفي سنة ٦٥٦ هـ (١٢٥٨ م) خرج الشيخ أبو الجبين الشاذلي للحج — كان يحج كل سنة — ومعه أبو العباس المرسى — وتوفي أبو الحسن في حميثرا وسط الطريق الصحراوي بين قنا بصعيد مصر والقصير على ساحل البحر الأحمر . ودفن هناك ولا يزال قبره معروفا للان .

قيام الشيخ أبي العباس بالدعوة بمفرده

ولما رجع الشيخ أبو العباس الى مصر قام بالمضي في إتمام الرسالة التي أقيت على عاتقه في نشر الطريقة الشاذلية العصباء — هذا بجانب عمله الأصلي كعالم ومرشد ومهذب لطلابه ومريديه متنقلا بين مدن الأقاليم على نمط ما كان يفعله شيخه — وكان من عاداته اذ جاء الصيف رحل الى القاهرة ونزل بجامع الحاكم بالمقسي « جامع أولاد عنان » وأخذ يتنقل بينه وبين جامع عمرو بن العباس بالفسطاط (مصر القديمة) حتى اذا ما حل الشتاء عاد الى الاسكندرية .

وكان أكثر من يحضر دروسه العلماء لا سيما اذا أخذ في شرح « الرسالة القشيرية » في التصوف للامام أبي القاسم القشيري النسابوري لأنه كان يفيض فيها من الأسرار ما يملك اللافوس . ويعرض دقائق ما ورد فيها من أحوال التصوف والمتصوفين عرضا يأخذ الالباب حتى كثر أتباعه ودخل في الطريق خلق كثير .

وظل أبو العباس حاملا لواء الدعوة من بعد شيخه ما يقرب من الثلاثين عاما أدى رسالته فيها خير أداء الى أن وافاه القدر المحتوم فانتقل الى جوار ربه في الخامس والعشرين من ذى القعدة سنة ٦٨٥ هـ (١٢٨٧ م) عن ما يقرب من السبعين عاما .

شخصية الإمام أبي العباس المرسى

« العلماء ورثة الأنبياء » هكذا كان يقول رسولنا الكريم . وامامنا أبو العباس المرسى ورث رسالته عن استحقاق وكان جديرا بأن يضطلع بأعبائها وينهض بمسئولياتها بما اجتباه ربه من صفات أعدته وأهله للقيام بهذه المهام من غير ضجر ولا سأم بل كان صبوراً بلغ الذروة في صبره وبلغ في جلده مبلغاً قل أن نشهد له نظيراً أو نرى له مثيلاً فقد كان يشكو أمراضاً كثيرة لا تحتملها الجبال ، ومع ذلك فقد كان يعقد حلقات درسه ولا يتأوه حين جلوسه ولا يعلم الجالس عنده أن به شيئاً من الأمراض ولم تكن تلك الأمراض قد أورثته صفرة أو شحوباً في وجهه ولا نحولاً في بدنه — كان يقول لأصحابه « لا تنظروا الى حمرة وجهي فحمرة وجهي من قلبي » .

. ودخل عليه ابن عطاء الله فوجد به لما فقال له : « أظنك يا سيدى ضعيفا » فقال رضى الله عنه : « الضعيف من لا إيمان له ولا تقوى » .

. وإذا كان الصبر من الصفات الموروثة عن الأنبياء فكذلك الزهد الذى هو شعار الصوفية القديم ، والزهد الذى يعنيه أهل الصوفية — هو زهد معتدل متوازن لا تطرف فيه ولا شذوذ ولا تكلف . وذلك لأنهم يستمدون تعاليمهم من منابع اسلامية أصيلة والإسلام لا يعرف الزهد المطلق ، ولا رهبانية في الإسلام بعد أن

دما إلى الأخذ بأسباب الدنيا والعمل لأجل الآخرة استجابة لدواعي الروح والمادة معا كوحدة واحدة لا انفصام فيها .

لهذا كان من طريقته رضى الله عنه الحرص على الظهور أمام الناس بالمظهر اللائق مع عدم التكلف فكان يلبس أفخر الثياب وأثمنها وكان بادي النظافة والوسامة وكان يتطيب وكان كثير الوقار ظاهر الهيبة ومع هذا كان حسن السمات مربوع القامة أبيض الوجه تام الخلق جميل المحيا ، كث اللحية .

ولهذا كان يستنكر على أهل الطريق لبس الزى والمرقعات . مستندا إلى قوله تعالى : « يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين » الآيتين ٣١ ، ٣٢ من سورة الأعراف .

وكان من زهده رضى الله عنه أنه خرج من الدنيا وما وضع حجرا على حجر ولا اتخذ بستانا ولا افتتح سببا من أسباب الدنيا ولا خلف وراءه ورقة .

وقال رضى الله عنه : رأيت عمر بن الخطاب رضى الله عنه في المنام فقلت يا أمير المؤمنين ما علامة حب الدنيا ؟ قال : خوفنا المذمة وحب الثناء - فاذا كان علامة حبها خوف المذمة وحب الثناء فعلمة الزهد فيها وبفضها أن لا يخاف المذمة ولا يحب الثناء .

وحدث رضى الله عنه أن شيخه أبا الحسن قال له : اذا أردت أن تكون من أصحابي فلا تسأل أحدا شيئا ، فمكثت على ذلك سنة ، ثم قال : ان أردت أن تكون من أصحابي فلا تقبل من أحد شيئا . . فكان اذا اشتد به الوقت أخرج إلى ساحل البحر بالاسكندرية فالتقط ما يرميه البحر بالساحل من القمح الذى يسقط من المراكب عند نقله .

وكان رضى الله عنه لا يأكل طعاما عنى له ولا من طعام اعلم به قبل أن يأتيه .

وكان لا يدعو للمحسن حتى يخرج من مجلسه فيدعو له بظهر الغيب - وكان اذا أهدي له شيء يسير تلقاه ببشاشة وقبول وإذا أهدي اليه شيء كثير - تلقاه بعزة نفس واطهار الفنى عنه .

ومن حكمه رضى الله عنه : الزاهد جاء من الدنيا الى الآخرة والعارف جاء من الآخرة الى الدنيا . . والزاهد غريب فى الدنيا لأن الآخرة وطنه والعارف غريب فى الآخرة . . فانه عند الله . .

حياته العلمية

يعتبر الامام أبو العباس من أبرز علماء الاسلام الانداز وقطباً من أقطاب الصوفية الأجلاء الذين بددت أنوارهم حجب الظلام فكانوا مصابيح الهداية وشموس الرشاد . ولقد أعده الله بكافة حواس المعرفة ، فله القلب الخالص ، والأذن الداعية والتفكير الباهرة والعقل الراسخ لأنها أعدته لأن يكون أهلاً لفيض الإلهامات الزبانية والعلوم الالهية . ف ضرب بسهم صائب فى شتى ميادينها وأطلع على أسرارها وكوامنها . فأجاد علوم التفسير بعد أن استوعب كتاب الله وملاً به صدره وأحاط بكافة علوم الفقه والحديث والأصول والأدب ومبادئ السلوك والأخلاق والمنطق والفلسفة وعلم النفس .

وكان رضى الله عنه عالماً عاملاً . . فحسبنا دليلاً أنه لم يأل جهداً فى تكريس حياته ووقفها على خدمة العلم وإفادة طالبين والشواهد تؤيد انقطاعه للدرس والتلقين انقطاعاً تاماً لم يدخر معه وقتاً ليترك وراءه كتاباً يحمل اسمه أو مؤلفاً يخلد ذكره جرياً على ما كان من علماء عصره وكان يقول قوله المأثور :

« ان علوم هذه الطائفة علوم تحقيق ، وعلوم التحقيق لاتحملها

عقول عوام الخلق فكتبى قلوب أصحابى » وكذلك كان شيخه
الامام أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه .

ولقد لمع نجمه فى شتى العلوم حتى لقد كان ابن عطاء الله
السكندرى يقول انه قد أتقن علوما كثيرة وأخذ بنصيب وافر منها
بدرجة أن المتحدث اليه فى علم من هذه العلوم ينصرف من بين
يديه وهو يظن انه لا يحسن الا ذلك العلم الذى كان يتحدث فيه .

فلا غرابة اذن ان نرى امامنا العظيم يتبوأ عرش الامامة فى
عصره ولا يجد شيخه الامام أبو الحسن من يضطلع بالخلافة من
بعده وينهض بأعباء الطريقة غيره - فيتركه يتصدر مجالس العلم
والتلقين ويجلس اليه العلماء والفقهاء يسمعون وينزلون عند قوائمه
ورأيه .

وكفى به فخرا أن يتخرج على يديه كبار الأئمة الأقطاب
كالبوصيرى وياقوت القرشى وتاج الدين أبى العباس أحمد
(ابن عطاء السكندرى) الذى كان يقول : « ما كنت تجلس بين
يدى أبى العباس الا والرعب يملك قلبك » وكل من هؤلاء الثلاثة
يعتبر حجة فى العلم ومنبع لا ينضب من المعرفة والدراية .

فلسفته وتصوفه

كان أبو العباس رضى الله عنه من أكبر مفكرى الاسلام احاطة
بشريعته وتعاليمه واسع المعرفة بمذاهب الفلسفة الاسلامية
التي أخذها عن شيخه أبى الحسن الشاذلى .

فأمدته هذه المعرفة بمادة خصبة صاغت عقيرته مبادئ
حديثه وحكما مبتكرة لا تخلو من النفحات الفلسفية والعلمية ،
وتتمشى مع أصول التشريع الاسلامية .

ويجدر بنا أن نسجل بعض ما أمكن العثور عليه من الحكم
والمأثورات التي عالج فيها شتى الأمور على هذا النمط فنجد

يخرج لنا تحليلا في لفظ الجلالة مثلا ، متبعا منطقا طريفا مبتكرا لم يسبقه فيه فيقول :

كل اسم من أسماء الله تعالى اذا أسقطت منه حرفا أذهبت دلالة على الله كالعليم ، والقادر ، والرحيم وغير ذلك من أسمائه الحسنى الا - اسم « الله » فانك ان أسقطت الألف بقى « الله » واذا أسقطت اللام الثانية بقى « هو » وهو النهاية فى الإشارة .

وقال : جميع أسماء الله للتخلق الا اسمه « الله » فانه للتعلق فليكن ذكرك : « الله » فان هذا الاسم سلطان الأسماء وله بساطة وثمره : فبساطة العلم وثمرته النور . والنور ليس مقصودا لنفسه وانما يقع به الكشف والبيان .

وتتجلى دقة دراسته رضى الله عنه فى التعبير عن أحوال الناس فيقول :

صلاح العبد فى ثلاثة أشياء : معرفة الله ، ومعرفة النفس ، ومعرفة الدنيا - فمن عرف الله خاف منه ، ومن عرف النفس تواضع لعباد الله ، ومن عرف الدنيا زهد فيها .

وله من التشبيهات الجميلة والمجاز الغريب والتخاريج الفريدة ما يأخذ بالألباب ويدهش العقول .

فيتكلم فى حالات النفس وخلجاتها فيقول رضى الله عنه :

« أن ابراهيم سمى فتى لأنه كسر الاصنام فهو الفتى الخليل عليه السلام وجد أصناما حسية فكسرها ، وأنت لك أصنام معنوية فان كسرتها كنت فتى ولك أصنام خمسة هى :

النفس ، والهوى ، والشيطان ، والشهوة ، والدنيا .

الفتوة الايمان والهداية قال الله تعالى :

« انهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى » (آية ١٣ سورة الكهف) .

تفسيره لآيات الذكر الحكيم والأحاديث النبوية

لم تفارق - بالطبع - النزعات الفلسفية والاتجاهات الصوفية
الامام أبا العباس المرسى في تفسيره لآيات القرآن الكريم ، فحفلت
كلها بالمخارج الحسنة التي تنم عن توفيق في الفهم وامعان في
استيعاب الآيات وهو ما يمكن أن نستشفه من شرحه للآيات الآتية :

١ - قال في قوله تعالى في سورة الفاتحة « الحمد لله رب العالمين » :
علم الله سبحانه وتعالى عجز خلقه عن حمده فحمد
نفسه بنفسه في أزله ، فلما خلق الخلق اقتضى منهم أن
يحمده بحمده فقال « الحمد لله رب العالمين » أى قولوا
« الحمد لله رب العالمين » أى أن الحمد الذى حمد به نفسه
بنفسه هو له لا ينبغى أن يكون لغيره فعلى هذا يكون
واللام عهدتين .

٢ - وقال في قوله تعالى « اياك نعبد و اياك نستعين » اياك نعبد
شريعة و اياك نستعين حقيقة - اياك نعبد اسلاما و اياك
نستعين احسانا - اياك نعبد عبادة و اياك نستعين عبودية
- اياك نعبد فرقا - و اياك نستعين جمعا .. الخ .

وقال في قوله تعالى « سماعون للكذب آكالون للسحت » (آية
٤٥ سورة المائدة) .

هذه الآية نزلت في اليهود ومن كان من فقراء هذا الزمان
مؤثرا للسماع لهواه ، آكلا مما حرمه مولاه فهى نزعة يهودية لأن
القوال يذكر العشق وما هو بعاشق - والمحبة وما هو بمحب
والوجد وما هو بمتواجد ، فالقول يقول الكذب ، والمستمع ساع
له - ومن أكل من الفقراء طعام الظلمة حين يدعى الى السماع ،
فهو يصدق عليه القول لله ، سماعون للكذب آكالون للسحت » .

تفسيره للأحاديث النبوية :

وعلى هذه الوثيرة وهذا المنوال يسترسل هذا العالم الكبير
في شرح بعض الاحاديث النبوية التي تعرض لها فيقول رضى
الله عنه :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يبروا ولا تعسروا » .
فيقول في ذلك : أى دلوهم على الله ولا تدلوهم على غيره -
فان من ذلك على الدنيا فقد غرك ومن ذلك على الاعمال فقد أتعبك
ومن ذلك على الله فقد نصحك .

— وقال في قول رسول الله صلى الله عليه وسلم « أنا سيده
ولد آدم ولا فخر » .

أى ولا افتخر بالسيادة وانما أفتخر بالعبودية لله سبحانه
وتعالى .

وكان كثيرا ما ينشد :

يا عمرو نادنى عبد زهراء يعرفه السامع الرائي
لا تدعنى الايبا عبدها فانه أشرف أسمائى

من أشعاره :

واذا أردت من السواك أجله
فالزهد فى الدنيا مع السمى الحسن
واعبد الهك حيث كنت على الرضى
تحظى بما قد ناله أهل المنى

وكتب لشيخه شهاب الدين أحمد أبى الحسن الشاذلى يقول :

سلام على من علا نوره عينا ففى مثله يرغب
كريم مناقبه جملة على الحق يبنى ولا يرهب

ولم لا وخير الورى جده له منه سيف به يضرب
الى أن يقول :

يزيد على القوم علما به
لقد فتح الله في وقتيه
ويشقى به حاسد جاحد
وانى مقرر بتخصيصه
ومنا عليكم سلام به
يفوق الامام ولا يسلب
قلوبا عن الحق لا تحجب
بعيد عن الحق مستصعب
فمن مثله في الورى يصحب
نلاقى العداة ولا تغلب

وكان رضى الله عنه يرى في العمل عبادة من خير العبادات بل
كان يرى كما يرى أستاذة أبو الحسن الشاذلى أن حركات الجسم
وهو يؤدى عملا من الاعمال التى تزيد فى الانتاج وتنفع الناس انما
هى نوع من أنواع التسبيح الله سبحانه وتعالى واذا كان أستاذة
الشيخ الشاذلى يقول « عليكم بالسبب أى العمل والسعى وراء
الرزق - وليجعل أحدكم مكوكه سبخته تحريك يده فى الخياطة
سبخته .

: وقال لتلاميذه الوفى ابن عطاء الله السكندرى حين أراد أن يترك
عملة ويصعبه :

لا ولكن أمكث فيما أقامه الله لك وما قسم لك على أيدينا فهو
واصل اليك » .

مسجده

أقام أبو العباس المرسى فى الاسكندرية ثلاث وأربعين سنة ينشر
العلم ويهذب النفوس ويضرب المثل بورعه وتقواه الى أن انتقل
الى جوار ربه فى الخامس والعشرين من ذى القعدة سنة ٦٨٥ هـ
ودفن فى الاسكندرية فى مقبرة باب البحر الى أن كانت سنة ٧٠٦ هـ
حين رأى الشيخ زين الدين بن القطان كبير تجار الاسكندرية فبنى
عليه مسجدا وقد خضع هذا المسجد لتطورات كثيرة حيث أعاد

بناءه الامير قجاش الاسحاقى الظاهرى والى الاسكندرية فى اواخر القرن التاسع الهجرى وبنى لنفسه قبرا فيه .

وفى سنة ١٠٠٥ جدد بناءه الشيخ أبو العباس السنفى ودفن فيه بعد وفاته وفى سنة ١١٨٩ زار الاسكندرية الشيخ أبو الحسن على بن عبد الله المعزى وجدد معظم اجزاء المسجد ووسع بعض نواحيه .

وفى سنة ١٢٨٠ جدد أحمد الداخنى شيخ طائفة البنائين وأوقف عليه أوقافا كثيرة .

وفى سنة ١٩٢٧ أعدت وزارة الاوقاف مشروعا لاعادة بناء المسجد وانشاء ميدان فسيح أمامه ووضعت الاسس للبناء الجديد فى اوائل سنة ١٩٢٩ وتم المسجد فى سنة ١٩٤٤ فأصبح أجمل مساجد المدينة .

ولقد كان مسجد أبى العباس المرسى مركز تجمع للمظاهرات الشعبية الثائرة التى قام به السكندريون خلال ثورة سنة ١٩١٩ اذ كانت تخرج منه مختربة أحياء المدينة كما اتخذ منه رجال الدين الاسلامى والمسيحى ملتقى يجتمعان عنده ويبشان دين على منبره الدعوة الى الكفاح والتضحية فى سبيل الحرية والعدالة .

من أولياء الاسكندرية

الولى الشاعر : البوصيرى

٦٠٨ - ٦٩٥

البوصيرى « محمد بن سعيد بن جماد » ، « أبو عبد الله شرف الدين » من أسرة مغربية تنتمى الى صنهاجه « قبيلة بالمغرب » ولد فى بوسير سنة ٦٠٨ وهى قرية تقع بين بنى سويف والفيوم ومنها استمد لقبه .

عاش صبيا في القرية وشابا في القاهرة وقد افتتح مكتبا
لتحفيظ القرآن الكريم ثم عمل كاتبا ببليس وبالمحلة واخيرا انتقل
الى الاسكندرية حيث عمل بجمركها .

واشتهر بقصيدتين البردة والهمزية وقد نالت الاولى منهما مالم
تلقه قصيدة عربية من قبل من الاجلال والاحترام حتى اتخذها
كثير من الناس وردا من اوراد العبادة وقلدها الكثير من الشعراء
وخمستها وسبعها وتسعها كثيرون أيضا .

ومن أشهر الذين عارضوها محمود سامى البارودى بقصيدته
« كشف الغمة فى مدح سيد الامة » وأولها .

ياسارى البرق يمم دارة العلم واحد القمام الى حى بذى سلم

وأحمد شوقى فى قصيدته نهج البردة التى مطلعها
ريم على القاع بين البان والعلم أحل سفك دمي فى الأشهر الحرمى

وقصيدة البردة هذه تحتوى على كثير من المعانى والاغراض
الدينية ولا تكفى هذه العجالة لبيان ما فيها من بيان معجز ومطلع
هذه القصيدة قوله :

أمن تذكر جيران بذى سلم مزجت دمعاجرى من مقلة بدم؟
ومن توجيهاته الحكيمة فيها قوله :

والنفس كالطفل ان تهمله شب على حب الرضاع وان تطفمه ينفظم
فاصرف هواها وحاذر أن توليه ان الهوى ماتولى يصم أو يصم
وراعها وهى فى الاعمال سائمة وان هى استحلّت المرعى فلاتسم
كم حسنت لذة للمرء قاتلة من حيث لم يدر ان السم فى الدسم

ومنها فى وصف آيات القرآن الكريم :

دامت لدينا فقامت كل معجزة من النبيين اذ جاءت ولم تدم
ماحوزبت قط الا عاد من حرب اعدى الاعادى اليها ملقى السلام

لها معان كموج البحر في مدد وفوق جواهره في الحسن والقيم
لا تعجبين لحسود راح ينكرها تجاهلا وهو عين الحاذق. الفهم
قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد وينكر الفم طعم السهد من سقم
ومن الروايات التي تدور حول هذه القصيدة انه أصيبه
بالشلل فتوسل بها الى الله فشفى .

وهناك من يقول بأن الرسول صلى الله عليه وسلم أتم له
بيتا منها في المنام .

ويروى ابن حجر في الدرر الكامنة أن البوصري اشتد به
الرمد فتوسل بها الى الرسول فمس عينيه في المنام فبرىء .

أما قصيدته « الهزبية » فرقيقة. رشيقة وتعد من البطولات.
في الشعر العربي اذ تربو على ٤٠٠ بيت ومطاعها .

كيف ترقى رقيق الانبياء يا سماء ما طاولتها سماء
لم يساووك في علاك وقد حال سني منك دولهم وسناء
انما مثلوا صفاتك للناس كما مثل النجوم المساء

على أن البوصري يمتاز في شعره الاجتماعي بالدعوة الإصلاحية
وبأفكاره التقدمية التي تدهش السامع نظرا لبعده عصره عن عصرنا
هذا .

اسمعه وهو يأخذ على بعضهم مظهر الورع الذي تختفى وراءه
حقيقة غير ورعة فيقول :

تورع معشر منهم وعبدوا من الزهاد والمتورعين
وقيل لهم دعاء مستجاب وقد ملأوا من السحت البطونا
فلا تقبل عفاف المرء حتى ترى أتباعه متعقبين
ليس الآخذون بغير حق لما فوق الكفاية خائفين
وأن الكانزين المال منهم أولئك لم يكونوا مؤمنين

وانك لتلمس في البيت الرابع من هذه المقطوعة ظللا اشتراكية وإضحة ولا يتسع المقام هنا أيضا لتحليل شعره الاجتماعي المليء بأمثال هذه النظرات الصائبة .

والبوصيرى من تلاميذ أبى العباس المرسى وله فيه قصائد مدح جيدة وقد شاء الله سبحانه وتعالى أن يتوفى بالاسكندرية وأن يدفن بالقرب من ضريح شيخه سنة ٦٩٥ هـ وقد بنى مسجده هذا حوالى سنة ١٢٧٠ هـ أما البناء الخارجى منه فقد أقيم فى أوائل هذا القرن .

والذى يزور هذا المسجد يشهد البردة المكتوبة برقائى الذهب على أرضية زرقاء بخط بالغ الجمال .

ونختتم هذه الكلمة عن الامام الشاعر البوصيرى بيت من نظمه هو نوجهه اليه بهذه المناسبة يقول فيه :

أنت أحسنت فى الحياة الدنيا أحسن الله فى الممات اليك

الولى العالم .. الإمام الطرطوشى

٤٥٠ - ٥٢٠ هـ

أبو بكر الطرطوشى عالم دينى واجتماعى معا ، وهو شاعر مجيد كذلك ، ألف كتابه « سراج الملوك » فكان من خير ما خلفه العلماء السابقون هداية للشعوب وحكامها ، وهو رجل يقدر للشعوب قيمتها ، ويعرف حقها ، ولذلك يقول فى صراحة لم يكن يحارسها غير القليلين فى ذلك العهد .

« ان الرغبة اذا قدرت على أن تقول . . قدرت على أن تفعل »
جاء الى الاسكندرية حوالى سنة ٤٩٠ هـ تقريبا وكان فيها الملك الأفضل بن أمير الجيوش ، وقد بدأ الأفضل حياته العلمية بهذه بالانتقام من العلماء والشعب لفتنة كانت قد قامت ضده نقام

الطرطوشي بشئون الوعظ واشاعة العلم بين الناس وعندما التقى بالأفضل لأول مرة كان لقاءه اياما مثيرا ويبدو هذا في الكلمة التي ألغاهما اليه وفيها يقول :

أيها الملك .

ان الله سبحانه وتعالى قد احلك محلا عاليا ، وملكك طائفة من ملكه فلا ترضى ان يكون احد أولى بالشكر منك ، وليس الشكر باللسان ولكنه بالفعل قال الله تعالى « اعملوا آل داود شكرا . واعلم ان هذا الملك الذي أصبحت فيه ، انما صار اليك بموت من كان قبلك وهو خارج عن يدك مثل ما صار اليك ، فاتق الله في هذه الأمة فان الله سائلك ، عن القطمير والنقمير والفتيل قائن الله تعالى « فوركك لنسألهم أجمعين عما كانوا يفعلون » فافتح الباب وسهل الحجاب وأنصر المظلوم » .

كان الطرطوشي جريئا في الحق لا تأخذه فيه لومة لائم وقد دعا الى مقاطعة بعض الواردات الأجنبية واعتبرها ماسة بالدين ومن ثم خاف الأفضل من جرأة الشيخ وأثر مواعظه في الجماهير فاعتقله مدة طويلة حتى ضجر الشيخ ومن هنا راح يستغرق في العبادة ثلاثة ايام متواصلة وهو يقول « الى متى نصبر » حتى اذا ادى صلاة المغرب الأخيرة قال :

رميته الآن .

وما لبث أن جاءته الاخبار بأن الملك الأفضل قتل في هذه اللحظة وكان ذلك سنة ٥١٥ هـ ولهذا اعتقد فيه خليفته المؤمنون البطائحي وأكرمته .

ولد الطرطوشي سنة ٤٥٠ هـ بمدينة طرطوشة إحدى مدن الأندلس وعاش عالما زاهدا ورعا حتى وفد الى الاسكندرية فقام برسائله العلمية خير قيام وقد ألف كثيرا من الكتب النافعة وفي

مقدمتها كتابه المشهور سراج الملوك ومن كتبه مختصر تفسير
الشعالي هذا بالإضافة الى عشرين كتابا أخرى في مختلف الاتجاهات
ذات الطابع الدينى ومن شعره :

اعمل لمعادك يا رجل فالناس لندياهم عملوا
وادخر لمسيرك زاد تقى فالقوم بلا زاد رحلوا

وقد وصفه القاضى عياض « بأنه الامام الورع » وقال عنه
ياقوت « هذا الذى نشر العلم بالاسكندرية وعليه تفقه أهلها »
وبنعتة السيوطى فقال « انه أحد الأئمة الكبار » .

وتوفى الطروشى سنة ٥٢٠ هـ ودفن بقبر بنى عليه مسجد
فيما بعد ويقع بالحى المسمى باسمه بجوار « كوم الناصورة »
أى محطة الارصاد الجوية فى حارة صغيرة وقد ظل مسجده مهتما
حتى بناء المرحوم السيد ابراهيم مورو أحد أهالى الاسكندرية
سنة ١٢٧٠ هـ وأوقف عليه أوقافا وهو الآن تابع لوزارة
الأوقاف ...

وكان الامام الطروشى رجلا نشطا منتجا خصب الانتاج ،
عرف منها اثنين وعشرون مؤلفا - الموجود منها تسعة والباقى
مفقود ومن هذه المؤلفات التسعة طبع اثنان فقط والسبعة الأخرى
مازالت مخطوطة وبعض هذه المؤلفات تتصل بعلوم التفسير ومسائل
الخلاف والفقه - وفقه مالك بوجه خاص - والبعض الآخر
يتناول بالبحث علم السياسة وفن الحكم والمجتمع وادواءه
وأحواله .

وكتاب « سراج الملوك » .

أهم كتبه جميعا وأقيمها - وهو واحد من كتب الطروشى
القليلة التى وصلتنا فان معظم كتبه قد فقدت للأسف وهذا الكتاب
الوحيد من بين هذه القلة الباقية الذى طبع أكثر من مرة .

والطرطوشى فى هذا الكتاب من الطلائع ومن رواد الفكر الاسلامى
الأوائل الذين حاولوا التأليف فى علم السياسة وفن الحكم - وقد
أشار ابن خلدون فى مقدمته الى كتاب الطرطوشى « سراج الملوك »
واعترف انه من المفكرين القلائل الذين سبقوه بالتأليف فى علم
الاجتماع او العمران ...

وقد قسم الطرطوشى كتابه « سراج الملوك » الى أربعة وستين
فصلاً جعل الفصل الاول فى مواعظ الملوك والفصل الثانى فى مقامات
العلماء الصالحين عند الأمراء والسلاطين ومن بينها فصل لمنافع
السلطان ومضاره وفصل آخر لمعرفة الخصال التى هى قواعد
السلطان وفصل للوزراء - وعقد فصلاً للحديث عن علاقة السلطان
بالجند وبيت المال وفصلاً للحديث عما يصلح الرعية من الخصال
وما الى هذا من موضوعات كثيرة تتصل بسياسة الملوك وفن الحكم
وتدبير أمور الرعية .

وقد ذكر فيه الكثير من الحكم والأمثال والقصص التى تؤيد
صحة هذا المبدأ وهو يقتبس هذه الحكم والقصص والنوادر من
سير الانبياء والخلفاء الصالحين ومن سير الملوك والحكماء السابقين
من مختلف الاجناس والعصور .

الولى الزاهد .. القبارى

٥٨٧ - ٦٦٢ هـ

ولد أبو القاسم بن منصور بن يحيى المالكى المعروف بالقبارى
سنة ٥٨٧ هـ وكان غفيف النفس محباً للعلم جاداً فى حياته .

ادرك فى طفولته عصر صلاح الدين وشهد فى شيخوخته قيام
دولة المماليك ورأى بعينيه كفاح مصر ضد الصليبيين اتخذ فى
حياته بستاناً يزرعه ويأكل من ثمره وبنى فيه داراً يتعبد فيها .

وكان يرى أن العمل فريضة وعبادة وإن السؤال مذلة ومهانة
ومن أقواله :

« من قعد في خانقاه فقد سأل ، ومن لبس سبحة فقد سأل ،
ومن فتح مصحفا في مسجد فقد سأل » .

ولقد كان عزيز النفس . . كم سعى لزيارته ولالة الاسكندرية
وكبار رجال الدولة فلم يقابلهم ، ومن الأدلة على عفة نفسه
وعزتها أن السلطان الظاهر بيبرس زار الاسكندرية سنة ٦٦١ هـ
وأرسل الى الشيخ يستأذنه في زيارته فأذن له . . فلما أتاه
الظاهر في بستانه وسأله عن حاجته لم يقل له شيئا ولما سأله
النصيحة : أوصاه بعمارة اسوار الاسكندرية وتحصينها فنفذ
الظاهر بيبرس وصيته .

كان مستجاب الدعوة ويروون عنه في ذلك حكايات وكان ثقیل
السمع إلا أنه يحب العلم الى النفاية القصوى وكان أصدقاؤه
ينقلون اليه ما يتلى في هذه المجالس بصوت عال .

وتوفي أبو القاسم القباري الى رحمة الله سنة ٦٦٢ عن ٧٥
عاما ودفن في بستانه وأقيم عليه مسجد صغير جدد في منتصف
القرن التاسع عشر وسكن الناس حوله حتى أصبح حي القباري
من أحياء المدينة المهمة .

الولي ياقوت العرشي

من أخلص تلاميذ أبي العباس الى الناس وتعلم على يديه
فأصبح من كبار علماء المدينة وليس أدل على ثقة الشيخ في تلميذه
ومحبته له من أن الناصر بن محمد بن قلاوون وهو ابن السلطان
الحاكم على مصر في هذا العصر طلب أن يتزوج « بهجة » بنت

الشيخ أبى العباس المرسى وكانت ذات جمال فرفض أبو العباس ذلك الزوج وزوجها من ياقوت العرشى .
وعاش ياقوت بعد أستاذه مدة وتوفى قبل نهاية القرن السابع وأقيم مسجد على ضريحه ثم تهدم ، وجدد هذا المسجد المرحوم أحمد الدخاخنى شيخ طائفة البنائين بالاسكندرية سنة ١٢٨٠ هـ .

الولى..الفقيه..سند بن عنان

كان سند بن عنان من أئمة المذهب المالكى بالاسكندرية وهو من تلاميذ « الطرطوشى » المخلصين وقد حل محله فى التدريس بعد وفاته .

ولما كانت « المدونة » من أهم الكتب فى مذهب الامام مالك فقد وضع لها سند بن عنان شرحا متسعا يبلغ الثلاثين مجلداً ولكنه لم يتمه .

قال عنه عالم مصر فى ذلك العهد الشيخ تقى الدين بن دقيق العيد « انه كان فاضلا من أهل النظر » .

وكان سند شاعرا غير أن شعره يغاب عليه الطابع الفقهى . هذا وقد توفى سند بن عنان سنة ٥٤١ هـ بعد أن ظل يدرس للناس أكثر من عشرين سنة . .

ودفن بالقرب من قبر الطرطوشى ولا يزال مسجده قائما الى الآن بشارع الباب الأخضر بالسكة الجديدة بالاسكندرية .
تحدث أبو القاسم بن مخلوف بن عبد الحق فقال :

« أخبرنى من أثق به انه رأى الفقيه أبا على سند بن عنان فى المنام فقال له . . ما فعل الله بك ؟

فقال . . عرضت على ربى فقال لى أهلا بالنفس الطاهرة الزكية .

دور الاسكندرية في النضال الوطني

عروس البحر الأبيض المتوسط .. ثغر مصر الجميل .. أرض الأبطال والثوار .. أرض الأحرار والمناضلين من أجل الكرامة الإنسانية والعزة والحرية .. الأرض التي وسعت روادها ولقطت من خان ترابها .. الاسكندرية العاصمة الثانية لمصر الحبيبة ، مقبرة الفزاة والمعتدين منذ انشائها سنة ٣٣١ ق.م حتى يومنا هذا من القرن العشرين .. تاريخ حافل بالبطولة والنضال .. وتسجيل لأروع الانتصارات لفتية مصر الأبرار على مر العصور فاذا تحدث التاريخ لهال الحديث وصفحاته صور رائعة للبطولة التي تجلت في شعب الاسكندرية الحر .. وان تناست مصر سيطرة الأجنبي على أرضها منذ أقدم العصور الى ان خلصت لسيطرتها الكاملة على نفسها ، يوم خرج أحد أبنائها الأحرار ليضرب الاستعمار والرجعية والملكية المستبدة ضربة كانت هي القاضية يحمل في يده رايته المزدانة بأهداف ستة في ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ فانها لن تنس مواقف الاسكندرية الخالدة . وهي تصد غارات بيزنطة ففي عام ٣٤ هـ ٦٥٤ م خرج شعب الاسكندرية وراء قائده العربي عبد الله بن سعد يواجهون عدوان البيزنطيين وقد جاء في أكثر من ألف سفينة تحت لواء الامبراطور قسطنطين بن هرقل ودارت رحى الحرب ضارية ، وكانت هزيمة الروم نكراء تحطمت بها قواتهم ولقنوا درسا بليغا منعه من معاودة الكرة مرة أخرى وقد كان لشجاعة أهل الاسكندرية وخطة القائد العربي عبد الله بن سعد أكبر الفضل في هزيمة هذا الأسطول في الموقعة التاريخية الكبرى « موقعة ذات الصواري » نسبة الى كثرة صواري المراكب واجتماعها وكانت هذه فاتحة الانتصارات الكبرى التي حققت فيما بعد أعظم انتصار رائع لشعب عظيم .. صفحة خالدة في سجل مقدس .. وان حمل بين طياته أحداثا

بشعة فرضها تاريخ ذلك العصر .. منها تلك السيطرة التي عمت البلاد تحت حكم المماليك الذين فرضوا انفسهم أمراء على مقاطعات قسموها بينهم وهى الأرض الواحدة للوطن العزيز .. حكموها بالجور والبطش والغدر والخيانة .. ولم تسلم الاسكندرية من بطشهم .. ولكنها عبرت عن سخطها وكرهها للوضع القائم واحتقارها التام لاوئى الامر فى ذلك الزمان وليس أدل على ذلك من تلك الرواية المشهورة التى تقص أحداثا بقتل رجل من أهالى الاسكندرية على يد أحد الجنود المماليك الأمر الذى دفع الأهالى فى ثورة غضب كرجل واحد الى القبض على قائد جند المماليك « السردار » وأوسعوه ضربا ثم أرغموه وهو عارى الرأس على ركوب حمار وطافوا به شوارع المدينة بين سخرية الأهالى وضربهم له بالنعال ..

الاسكندرية والغزو الفرنسى :

ومن آلام الجروح التى فرضها واقع ذلك العصر وضمدتها كفاح الشعب العظيم مسجلا فى تاريخه العريق كفاحه المرير ضد المعتدين الأوربيين منذ أن تفتحت أعينهم على مصر كغنيمة يتسابقون من أجل الفوز بها .. وتبدأ القصة عندما علمت انجلترا بتفكير فرنسا جديا فى غزو مصر أمرت نلسن بتقصى حركات الاسطول الفرنسى فى البحر المتوسط .. ولما علم نلسن بمغادرة الحملة الشواطئ الفرنسية متجهة نحو الشرق توقع أن تكون وجهتها مصر فسبقها الى مياه الاسكندرية . ووصل فى ٢٨ يونية ١٧٩٨ واتصل بحاكم الاسكندرية السيد محمد كريم وأبلغه بعزم فرنسا على غزو مصر وانه لم يحضر بأسطوله الاحماية البلاد من الغزو الفرنسى .. وطلب منه نلسن أن يسمح للأسطول الانجليزى بالبقاء فى مياه النهر ولكن السيد محمد كريم رفض هذا الطلب بشجاعة غير هيباب ولا وجل لدرجة أنه امتنع عن امدادهم بالزاد والماء خارج الميناء .

ولم يغمض الأهل الاسكندرية جفن منذ أن ظهر الأسطول الإنجليزي في مياهها ومنذ أن عرفوا بعزم فرنسا على احتلال ديارهم فأخذوا يستعدون للملاقاة الفرنسيين بكل ما أوتوا من قوة في حدود امكانياتهم الضئيلة وفي مثل هذه الظروف القاسية .

وعندما وصل الأسطول الفرنسي في أول يوليو من نفس السنة التي الاسكندرية أسرع نابليون بانزال جيشه الى البر في منطقة العجمي وتم ذلك ليلا دون أن يعترضه أحد ثم سار على الأقدام مع فصيلة من جيشه قاصدا الاسكندرية فقابلهم قبيل الفجر بعض قبائل من عرب الاسكندرية (أولاد على) فتبادلوا معهم اطلاق النار واضطرت هذه القبائل الى التراجع أمام كثرة الفرنسيين ووفرة أسلحتهم . . واستمر الجيش الفرنسي في السير نحو الاسكندرية فقابلتهم حامية المدينة بما لديهم من وسائل الدفاع ولكن هيهات أن يصمد الاهالي بأسلحتهم العتيقة أمام أمتى الجيوش الاوربية وما تسلحت به من معدات الدمار ، ودخل الفرنسيون المدينة ينشرون الدعر والاضطراب ولكن الاهالي قابلوه بمزيد من العنف واعتصموا بالشوارع والأزقة ودارت بينهم وبين الفرنسيين معارك طابخة اشترك فيها الرجال والنساء حتى كاد نابليون نفسه أن يلقي حتفه أثناءها واعتصم السيد محمد كريم بقلعة فاروس (قايتباي) يدافع في يأس حتى اضطر الى التسليم وحاول نابليون أن يستفيد من خبرته في ادارة المدينة والسيطرة عليها بعد أن عفا عنه تقديرا لبسالته وما أبداه من الشجاعة والفداء خلال الغزو . . وفي الوقت الذي تظاهر فيه السيد كريم بالتعاون مع الفرنسيين في حكم المدينة كإن يدبر خطط المقاومة الشعبية السرية مع أبناء الاسكندرية لمرقلة العمليات الحربية الفرنسية . ولما ساورت الشكوك الجنرال كليبر في زعامة السيد محمد كريم لحركة المقاومة الشعبية أمر بالقبض عليه ونقله الى القاهرة في ١٣ أغسطس سنة ١٧٩٨ وخير بين الاعدام رميا بالرصاص ومصادرة جميع امواله وممتلكاته أو أن يدفع فدية ٣٠ ألف ريال في ظرف ٢٤ ساعة ، وهنا قال السيد محمد كريم

وهم يساومونه على حياته (اذا كان مقدرا على أن أموت فلا ينجيني من الموت أن أدفع هذا المبلغ ، واذا كان مقدرا على الحياة فعلايم أدفع) .

ونفذ الفرنسيون الحكم في السيد محمد كريم ٦ سبتمبر سنة ١٧٩٨ وحزوا رأسه وطاقوا بها الشوارع . . وانطوت صفحة مشرقة سجل بها التاريخ أروع أمثلة البطولة والفداء في أداء الواجب ارضاء لله والوطن والضمير .

الاسكندرية والثورة العربية :

كانت دعوة الوزارة لاجتماع مجلس النواب دون أمر الخديوى توفيق بعد أزمة ٩ سبتمبر سنة ١٨٨١ تحديا للخديوى وبداية لتدخل انجلترا وفرنسا اللتين اعتبرتا هذه الدعوة لمجلس النواب تهديدا لمصالحهما الحيوية في مصر وقررتا التدخل العسكرى بحجة حماية رعاياهما من أخطار متوقعة .

وأرسلت الدولتان بعد وصول أسطولهما الى الاسكندرية في ١٩ مايو سنة ١٨٨٢ مذكرة تطلبان فيها اقالة الوزارة وابعاد احمد عرابى عن البلاد . . وأصر الخديوى مستندا الى القسوى الأجنبية على تنفيذ ما جاء بالمذكرة ولكن قوات الجيش والشرطة بالاسكندرية وقفت موقفا حازما من رغبة الخديوى فأرسلت برقية اليه مؤيدين بقاء عرابى ومهددين بأنه اذا مضت اثنتا عشرة ساعة ولم يعد الى منصبه أصبحوا غير مسئولين عما يترتب على هذا الرفض من نتائج .

وكانت لبرقية الاسكندرية أثرها الحاسم في احجام الخديوى عن تنفيذ مطالب الدولتين . . وأن موقف الاسكندرية من تأييد عرابى في بداية الثورة يذكرا بموقفها من تأييد ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ منذ يومها الأول .

منبحة الاسكندرية :

أصبح وجود الأسطولين مبعثا لقلق أهل الاسكندرية وأثار

تدخلهما في شئون البلاد التوجس والخوف من غدرهما واشتد
الحق بالاهالى لما جره الأجانب على البلاد من تدخل أجنبي
وصار الأجانب يتوجسون شرا ولم يتورعوا عن اظهار روح العداوة
ازاء أهل الاسكندرية بل وصل الأمر بالقنصلية الانجليزية الى
توزيع الأسلحة والذخائر على رعايا انجلترا استعدادا للينوم
المشئوم . . وتجمعت الغيوم في سماء الاسكندرية وأصبح من
المصعب تفادى الصدام بين الوطنيين والأجانب .

ولم يكن من الصدام بد وهو ما كانت تتوق اليه الدولتان . . .
فقد حدث أن اختلف مكارى مصرى ومالطى على أجر حمار أدى
الى وقوع شجار بينهما خر على أثره المصرى صريعا بسكين المائضى
الذى أسرع بالهرب في بيت أحد أصدقائه ، وثارت ثائرة الأهالى
فتتبعوا القاتل وأطلق عليهم الأجانب النار من النوافذ والأبواب . .
وكانت مذبحة ميدانها حى اللبان والجمرك واستمرت ثلاث ساعات
سقط فيها الكثير من الأجانب واستشهد فيها بعض الوطنيين .

وأثارت الحادثة اهتمام قناصل الدول الأجنبية فعدوا
اجتماعا مع سلطات الأمن المسئولة بالاسكندرية ومحافظها وحضر
أحد الضباط من البحرية الانجليزية لدراسة الموقف واتخاذ تدابير
الرقابة والأمن وأصر ضباط الجيش المصرى بعدم تدخل
الأسطولين على أن يتولوا وحدهم حفظ الأمن والنظام .

لم تستطع جميع التدابير التى اتخذت أن تسكن من وضغ
الاهالى أو الأجانب ولاحت نوايا انجلترا العدوانية مما أدى بقناصل
الدول أن تنصح رعاياها بضرورة مغادرة البلاد فى ١٨ يونيو سنة
١٨٨٢ وغادر ما يقرب من ٩٩ ٪ من الأجانب الموجودين بمصر
وكان هذا دليلا ماديا على أن الاسكندرية مقبلة على أيام عصيبة . .

ضرب الاسكندرية :

وتطورت الأمور وأرسل الجنرال سيمور القائد الانجليزى
انذاره النهائى فى ١٠ يوليو سنة ١٨٢٢ بضرب الاسكندرية فى

صباح اليوم التالي اذا لم تسلم اليه حصون الاسكندرية ورفض مجلس الوزراء الانذار حرصا على العراقيين والحركة القومية في نفس الوقت وبدأ في الاستعداد للحرب .

وفي تمام الساعة السابعة من صباح يوم ١١ يوليو سنة ١٨٨٢ ضرب الأسطول البريطاني الاسكندرية احدى عشرة ساعة متوالية ولم يفت في عضد الجنود وأهالي الاسكندرية ما كان من تفوق العدو الساحق فاذا كانت تنقصهم الأسلحة والعتاد فلم يكن يعوذهم الايمان والشجاعة وقاموا بواجبهم بكل همّة واخلاص ونشاط .

تفانى الأهالي في الدفاع عن المدينة رغم أن الحرب كانت حرب منافع وحصون وبوارج فبدلوا كل ما في استطاعتهم من تضحية واقدام . قال الشيخ محمد عبده في هذا الصدد :

كان الرجال والنساء تحت مطر الكلل ونيران المدافع ينقلون الذخائر ويقدمونها الى بعض بقايا الطوبجية الذين كانوا يضربونها ، وكانوا يغنون بلعن الأميرال سيمور . . ومن أرسله .

وقال عرابي في ذلك : (وفي أثناء القتال تطوع كثير من الرجال والنساء في خدمة المجاهدين ومساعدتهم في تقديم الذخائر الجريية واعطائهم المال وحمل الجرحى وتضميد جروحهم ونقلهم الى المستشفيات) وقال محمود باشا في كتاب البحر الزاخر (ورايت في ذلك الوقت بعينى ما حصل من غيرة الأهالي بجهة رأس الثين وأم كيبية وطوايى باب العرب وهمتهم في مساعدة عساكر الطوبجية من جلبهم المهمات والذخائر وخراطيش البارود والمقذوفات هم ونسائهم وأولادهم وبناتهم . والبعض من الأهالي صار يعمل المدافع ويضربها على الأسطول) .

وقد قتل من المصريين خلال هذه الفظائع نحو ألفين ولم تزد خسائر الانجليز عن خمسة من القتلى وتسعة عشر جريحا .

ويقول عرابى فى مذكراته انه استشهد من رجال الطوباني وحدهم مائة رجل وامراتان من المتطوعات اللواتى كن يضممن الجرحى وهذا طبعا عدا الخسائر الأخرى فى المدينة ويصف جون ثينيه عميد الجالية السويسرية فى مصر سنة ١٨٨٢ ، الجنود المصريين وهم يدافعون عن المدينة فيقول :

فما كان أبدع هذا المنظر ، منظر الرماة المصريين الذين كانوا قائمين على مدافعهم وهى مكشوفة فى العراء وكانهم فى استعراض حربى لا يرهبون الموت الذى يكتنفهم ، اذ لم يكن لهم دروع واقية - ولا متاريس وكانت معظم الحصون بلا ساتر ومع ذلك فهؤلاء الشجعان من أبناء النيل كنا نلمحهم وسط الدخان الكثيف كأنهم أرواح الأبطال الذين سقطوا فى حومة الوغى ثم بعثوا ليكافحوا العدو من جديد ويستهدفوا لنيران مدافعه . وكان الأئمة يزورون الحصون ويشجعون المقاومة وقام الجميع بواجبهم من جند ورجال ونساء وصفار وكبار ولم يكن ثمة أوسمة ولا مكافآت تستحث أولئك الفلاحين على اداء واجبهم بل أن عاطفة الوطن والثورة على الظالمات التى استهدفوا لها كانت تستثير الحماسة فى صدورهم ، وهم أولئك الشجعان المجهولون الذين لم يفكر أحد فى آلامهم .

وهكذا كان دور الاسكندرية فى احدى معارك النضال القوى أدت فيها دورها بشجاعة وابدت ضروبا من البطولة والفداء ما يضرب به الأمثال فى كل وقت وحال واننا لا ننسى فى هذا المقام ولن ننسى مصر ابنا من أبناء الاسكندرية وهو عبد الله النديم الذى ولد بالاسكندرية عام ١٨٤٥ م ولقب بخطيب الثورة العربية والذى كان يحرر صحيفة من ميدان المعركة فى الاسكندرية وكفر الدوار وكل موقعة حربية خاضتها الثورة العربية .

كافح بالقلم واللسان حتى نال الكثير من الاضطهاد والتعذيب والتشريد وعنه يقول الأستاذ عبد الرحمن الرافعى « هذا الزعيم

الوحيد من العربيين الذى استمر فى جهاده السياسى ونضاله عن مصر فى عهد الاحتلال وهى ميزة كبرى انفرد بها دون بقية الزعماء الذين أثرت فيهم الهزيمة فوهنت لها روحهم المعنوية وانطفأت فيهم شعلة الامل والحماسة والجهاد . أما هو فقد ظل على عهده واستمر يجاهد ويناضل حتى آخر نسمة من حياته » .

الاسكندرية وثورة ١٩١٩ :

أعلنت الحماية على مصر فى ٢٨ ديسمبر ١٩١٤ وفى ظل الأحكام العرفية زجت انجلترا بالوطنيين وخاصة من أعضاء الحزب الوطنى فى السجون وفى مدينة الاسكندرية ألقى القبض على الوطنيين ووضعوا فى سجن الحداء وطوال فترة الحرب العالمية الأولى قاست مصر من وطأة الأحكام العرفية والحكم العسكرى القائم على العنف والبطش وكانت انجلترا تسخر جهود مصر لأغراضها الحربية ومصالحها الخاصة .

وطالب سعد زغلول هو وزملاؤه بالغاء هذه الأحكام بعد الحرب كما طالبوا بالاعتراف باستقلال البلاد ورفضت انجلترا هذه المطالب ثم ما لبثت أن قبضت عليه وعلى زملائه ونفقتهم الى مائدة فقامت المظاهرات فى أنحاء البلاد احتجاجا على هذا الاجراء وجذت الصدام الحتمى بين الطلبة ورجال الاحتلال أسفر عن عديد من القتلى وقد قرر طلبة المعاهد الدينية والمدارس بمدينة الاسكندرية القيام بالاضراب يوم ١٢ مارس احتجاجا على سلطات الاحتلال وتجمعوا فى ميدان مسجد أبى العباس واتجهوا صوب مبنى المحافظة القديم بشارع رأس التين هاتفين بالحرية والاستقلال وقد تمكن البوليس من فض الأحزاب دون اراقة الدماء ولم تتوقف المظاهرات يوميا حتى كان يوم ١٧ مارس حين أحاط الجنود البريطانيون بمظاهرة تتألف من طلبة المعاهد الدينية والصناعية والثانوية ومن العمال بحى الأنفوشى ومنعوهم من

مواصلة السير فلم يتمكنوا فأطلقوا عليهم النيران وسقط ١٦ شهيدا وأربعة وعشرين جريحا وقد أذكت هذه التضحيات نار الحماسة في نفوس الأهالي فكثرت المظاهرات عقب صلاة الجمعة من كل أسبوع وذهب ضحيتها خلق كثير وزج بهم في غياهب السجون بتهمة إثارة الشغب .

وقد أرغمت هذه المظاهرات سلطات الاحتلال على إعادة النظر في سياستها إزاء مصر - فأفرجت عن سعد زغلول وزملائه وسمحت لهم بالعودة كما قررت إيفاد لجنة ملنر الى مصر لدراسة أحوال البلاد ومطالبها داخل إطار الحماية البريطانية - وقد قاطع الشعب المصرى هذه اللجنة وعبرت الاسكندرية عن سخطها عليها .. فقام أهلها بمظاهرة في ٢٤ أكتوبر عقب صلاة الجمعة من مسجد أبى العباس المرسى بلغ عددها ١٥ ألف .. سارت في شوارع المدينة تهتف بالاستقلال وسقوط لجنة ملنر - واعترض رجال الشرطة طريقها ووصلت بعد لحظات فصيلة من الجيش الانجليزى انقضت على المتظاهرين وأطلقت عليهم نيران البنادق قتل خمسة وجرح أربعون وجرح من رجال الشرطة ثمانية وعشرون .

وقد استاء أهالى الاسكندرية من تدخل القوات الانجليزية وصمموا على الاستمرار في المظاهرات وأخذوا يقيمون المتاريس في الشوارع المؤدية الى حي رأس التين واقتلعوا بلاط الشوارع لإعاقة السيارات البريطانية من الوصول الى معازل المتظاهرين واستمر الانجليز في التحرش بالأهالى واثارتهم ففي يوم ٢٥ أكتوبر ١٩١٩ مرت سيارة انجليزية مسلحة بحى الأنفوشى وأطلقت النار على جمع من الأهالى بجهة البوصرى فأصيب نحو عشرة منهم واشتبك الأهالى معها للدفاع عن أنفسهم فسقط منهم أربعة قتلى وستة جرحى وانتشرت فصائل القوات الانجليزية في مختلف الشوارع وقامت السيارات المصفحة تجوب الطرقات بحثا عن

المتظاهرين وارهبا للأهالى - ولم يستطع محافظ الاسكندرية حسن عبد الرازق أن يقنع القوات الانجليزية بالانسحاب من الشوارع - فتجددت الاضطرابات وأعمال العنف وكان مسجد ابو العباس المرسى مركزا يتجمع فيه الأهالى من كافة أنحاء المدينة ويخرج المتظاهرون منه الى وسط المدينة ليلتقوا بجموع المتظاهرين الوافدين ولم تساعد الظروف السياسية التى تمر بالبلاد على الاستقرار او تهدئة الأمور فقد أصدرت دار الحماية فى ١٤ نوفمبر سنة ١٩١٩ بلاغا رسميا أوضحت فيه أن لجنة ملنر مهمتها اقتراح النظام السياسى الذى سيطبق فى ظل الحماية وما أن علم السكندريون بهذا البلاغ صباح يوم ١٥ نوفمبر حتى قامت المظاهرات أيام ١٥ ، ١٦ ، ١٧ وتصدت لها القوات الانجليزية فسقط عدد من الشهداء .. وفى موكب رهيب يضم أكثر من خمسة عشر ألفا من المواطنين خرج الأهالى لتشيع جنازة الشهداء بين هتاف الجماهير وثورتهم على الدماء الذكية التى تراق كل يوم برصاص المستعمرين .. وفى صبيحة اليوم التالى وقد خرجت المظاهرات من مسجد أبى العباس وسارت فى طريقها للمعهد إلى قلب المدينة فأطلقت عليهم النيران ، وفى المساء قام أهالى باب سدره وسوق الطباخين بقطع الاشجار وانتزاع أحجار الأرصفة لصنع المتاريس واغلاق الشوارع - وحدثت مصادمات أسفرت عن تسعة من القتلى وثلاثين من الجرحى ..

ونتيجة لخطورة الحاجة احتلت القوات الانجليزية المواقع الهامة بالمدينة وفرضت حظر التجول بعد التاسعة مساء وحرمت تشيع الجنازات فى مواكب كبيرة ..

وازاء اصرار المصريين على عدم الاعتراف بلجنة ملنر وإمام التضحيات الكبيرة التى قدمها المصريون خاصة أهالى الاسكندرية

اضطرت لجنة ملتر أن تعلن أنها لم تأت الى مصر الا للتوفيق بين
أمانى الشعب المصرى ومصالح بريطانيا فى مصر مع عدم نسيان
المحافظة على حقوق الأجانب .

الإسكندرية وثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢

منذ بداية عام ١٩٥٢ توالى الأحداث بسرعة فائقة فمن
مظاهرات بالقاهرة واشعال الحرائق فى يناير بالقاهرة والاسكندرية
واتخاذ الملك هذا فرصته لتشديد قبضته على البلاد باعلان الاحكام
العرفية ، وتوالى الوزارات تباعا كل تحاول أن تصد تيار الفضب
الشعبى وتهدىء نائرة المواطنين وأصبح الموقف ينذر بانفجار
وشيك . وفى ليلة الثالث والعشرين من يوليو انفجر البركان
وخرجت قوات الجيش معبرة مؤيدة لثورة الشعب وكان الملك
بالاسكندرية ورغم وجوده ووجود الوزارة بها فقد خرج أبناء
الاسكندرية هاتفين بحياة الثورة منادين بنصرتها غير مباليين بما قد
يحيق بهم من خطر وسارعت جامعة الاسكندرية وهى تمثل القيادة
الفكرية فى المدينة وأبرقت الى قيادة الثورة مؤيدة لها وبعدها
توالى التأييد من مختلف الهيئات والطوائف واثبتت الاسكندرية
انها سباقة دائما الى مناصرة الحركات الوطنية وأنها لم تتخل عن
ماضيها الطويل فى الكفاح والجهد من أجل حرية الوطن .

ويرضخ الطاغية لقرارات الثورة بالتنازل عن العرش ومقادرة
البلاد ويخرج من قصر رأس التين على باخرة المحروسة فيعود
للأذهان منظر جده اسماعيل من قبل وقد خرج من نفس المكان
وعلى نفس السفينة فى ظروف تكاد تكون متشابهة .

وهكذا كانت الاسكندرية أول أرض تطوُّها أقدام اسرة محمد
على ومنها شيعت آخر طقاتها .

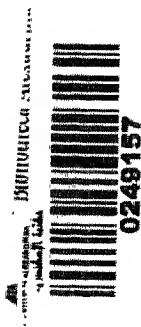
ولقد شهدت الاسكندرية في عهد الثورة أحداثا تاريخية توجت كفاحتها على مر العصور وخلدت ذكراها . فمن ميدان المنشية بالإسكندرية أعلن السيد الرئيس جمال عبد الناصر في السادس والعشرين من يوليو عام ١٩٥٦ قراره التاريخي الهام بتأميم الشركة العالمية لقناة السويس . فكان هذا أعظم حدث سياسي في تاريخ مصر الحديثة أثار رد فعل عنيف في الدوائر السياسية الأجنبية خاصة الفرنسية والانجليزية والأمريكية .

واثارت ثورة الاستعمار وتحالفت قوى الشر والظفيان فكان العدوان الثلاثي الآثم على مصر . وتجلت بطولة الاسكندرية في الدفاع عن الوطن وصد غارات المعتدين . وكان للمدفعية المضادة للطائرات والقوات البحرية دور تاريخي مشهود ، وقابل الأهالي غارات الطائرات بثبات ورباطة جأش وروح وطنية عالية في تصميمه على بلوغ الهدف مهما تكبدوا من تضحيات وتقدم أبناء الاسكندرية فتيات وفتيان وشيوخ وشبان للانضمام الى جيش التحرير الوطني تدفعهم الرغبة في الانتقام من الأعداء والزود عن حياض الوطن .

وتحتل الاسكندرية في قلب السيد الرئيس جمال عبد الناصر مكانا طيبا ، ففيها درج ، وإبان دراسته فيها اشترك مع طلبتها في ثورتهم على قوى البغض والظفيان ؛ ولذا يؤثرها دائما بإعلان أهم القرارات التاريخية في ٢٦ يوليو من كل عام ذكرى خلع الملك وطرده من مصر .

ومن هذا كله نرى أن الاسكندرية كانت بمثابة المرأة التي انعكست عليها أحداث مصر وتاريخها - فالاسكندرية تشغل من سجلها الضخم أغلب صفحاته .

وزارة الارشاد القومي
مصلحة الاستعلامات



وزارة الإرشاد القومي
مصلحة الاستعلامات